صلح الامام الحسن (ع)
في فكر السيد عبد الحسين شرف الدين

الباحثة: اسراء حسوني جبر
كلية التربية/ جامعة القادسية
edu-hist.post117@qu.edu.iq

أ. م. د. سعد كاظم عبد الجنابي
كلية التربية/ جامعة القادسية
alganabisaad@yahoo.com

الخلاصة:

ينتمي السيد عبد الحسين (١٧٣٣هـ - ١٩٥٧م) إلى عائلة (شرف الدين) التي تعتبر من أشهر وأبرز العائلات الدينية في البلاد العربية الإسلامية ومنها جبل عامل في لبنان ولبنان. العراق وتحديداً في النجف، وينتهي نسب هذه العائلة إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)، وهذا القرب من الأئمة (عليهم السلام) أكسبهم شهرة دينية واسعة بين عامة الناس. كما كان لدراسته الحوزة العلمية في سامراء الأثر الكبير في صقل موهبته، مما ساهم في جعله رائدا في الإصلاح الاجتماعي والديني، إضافة إلى مؤلفاته العلمية القيمة التي زيّنت المكتبات العربية وزادت لها شرفا وفخرا.

الكلمات المفتاحية : الامام الحسن (ع)، السيد عبد الحسين شرف الدين.

reconciliation Imam al-Hassan (peace be upon him) in the thought of Sayyid Abd al-Husayn Sharaf al-Din

Researcher: Esraa Hassouni Gabar **Assist. Prof. Dr. Saad Kadhim Abed**
College of Education/ University of Al-Qadisiyah
edu-hist.post117@qu.edu.iq **alganabisaad@yahoo.com**

Abstract

Abdul-Hussein (1733 AH - 1957 AD) belongs to the family (Al Sharaf al-Din), which is considered one of the most famous and prominent religious families in the Arab Islamic countries, including Jabal Amel in Lebanon and Iraq, specifically in Najaf, The lineage of this family ends with Imam Musa bin Jaafar al-Kadhim (peace be upon him), and this closeness to the imams (peace be upon them) earned them a wide religious reputation among the common people. As well as, his seminary studies in Samarra also had a great impact in refining his talent, which contributed to making him a pioneer of social and religious reform, in addition to his valuable scientific works that crowded Arab libraries and added honor and pride to them.

Key Word: Imam al-Hassan (peace be upon him), Sayyid Abd al-Husayn Sharaf al-Din.

المقدمة:

ان قضية صلح الامام الحسن (عليه السلام) مع معاوية بن ابي سفيان وتنازلهُ عن البيعة تعتبر من الضايا البارزة والمهمة التي اشغلت الباحثين واثارت الاراء والجدليات للكشف عن الوجه الحقيقي لهذا الصلح وماهي الاسباب والظروف التي دفعت الامام الحسن (عليه السلام) لأبراكهُ مع معاوية؟ ان الامام الحسن بن علي (عليه السلام) لم يكن وليد الصدفة لكي ينازعهُ معاوية بهذهِ الجرءة والوقاحة فالأمام الحسن هو ثاني الائمة المعصومين (عليهم السلام) والذي تولى الخلافة بعد وفاة ابيه الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ولهُ من المناقب والمآثر مع ابيهِ ماتشهد لهُ الحروب كالنهروان والجمل وصفين وهو الذي أراد بهذهِ البيعة ان يسير فيهم بكتاب الله وسنة نبيهُ واصلاح امة جدهُ رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) والوقوف بوجه الظلم والتسلط والدسائس التي لا تريد للأسلام باقية وهنا لابد ان نشير الى الاسباب والشروط والغايات التي تكمن وراء هذا الصلح بمنظور السيد شرف الدين (قدس الله سره).

اولاً/تسلل معاوية بن ابي سفيان الى السلطة:

لقد نظر السيد شرف الدين[1](قدس الله سره) لهذا الامر بمنظوهُ الخاص اذ ان معاوية ذلك الداهيه اللعوب استطاع ان يستخدم مكرهُ للاستحواذ على السلطة في هذا المضمار يعرج شرف الدين على الامر قائلاً: **" استطاع معاوية بدهائهُ ان يتخذ من الاسلام سبيلاً فزحفَ منهُ الى الملك العضوض، ليتخذ بهِ دين الله دغلاً، وعباد الله حولاً ، ومال الله دولاً ، كما انذر بهِ رسول الله (ص) فكان ذلك من اعلام نبوتهِ ".** ويبدو لنا ان السيد شرف الدين قد تفرد بذكر هذا النص دون ان يعتمد على أي مصدر. لم يكن ذكاء معاوية الذي أمكنهُ من السلطة وليد اللحضة بل ناجم عن خبرة سابقة وممارسات عديدة ساهمت في بناء شخصيتهُ القوية إذ كان والياً على الشام فترة طويلة حيث غستطاع ان يستقطب الكثير من الموالين لهُ بشراء ذممهم وإغداقهم بالمال كما أكسبهُ قربهُ من آل بيت الرسول (ص) صيتاً دينياً جعل العامه تالفهُ وتتودد إليه وبهذا يورد شرف الدين[2] مانصهُ: **" لقد نشط معاوية في عهد الخليفتين الثاني والثالث بأمارتهُ على الشام عشرين سنة تمكن بها من اجهزة الدولة ، وصانع الناس فيها واطمعهم به فكانت الخاصة في الشام كلها من اعوانهِ وقد عظم خطرهُ في الاسلام وعرف في سائر الاقطار بكونهُ من قريش اسرة النبي (ص) وانهُ من اصحابه ".** لم يعول السيد شرف الدين في تحليلهُ الوارد اعلاه على أي مصدر وإنما أورد ذلك من وجهة نظرهُ الخاصة فيبدو لنا ان هناك اتفاق حول الفكرة بين ما ساقهُ شرف الدين ورأي المعاصرين. وقد كان لبعض الباحثين المعاصرين آراء ازاء هذا الصلح فعن الدكتور الدكتور بيضون[3] نصَ: " ليس ثم الشك ان نجاح معاوية في اقامة هذه الدولة اعتمد في المقام الاول على موهبه غير عادية في السياسة والحكم اذ كان على درجة عالية من الذكاء والمرونه بالاضافة الى صناعة العلاقات الاجتماعية التي اتقنها بقدرتهُ على استقطاب الانصار والحلفاء وعلى اضعاف الخصوم والايقاع فيما بينهم... واخيرا ختم بيضون قائلاً: ان هذه الصفات المتعددة التي اجتمعت في شخصية معاوية اسهمت في ولادة نهج جديد في الحكم لم يكن مألوفاً في العهود السابقة فمعاويه وفقاً لهذِ المعطيات يعتبر رائداً ما يسمى بالمدرسة الميكافيلية في السياسة القائمة على تسويغ الوسيلة من اجل الغاية ". في حين كان للدكتور الجنابي[4] تعقيباً مماثلاً لما اورده بيضون اذ نصَ: " لقد استفاد معاوية من الحقبة الطويلة التي امضاها في ولاية بلاد الشام في تثبيت سلطتهُ ونفوذهُ وكان يعمل على كسب ود ورضا الخليفة عمر ليبقية في منصبهُ، كما استطاع معاوية ان يكسب تأييد القبائل العربية التي كانت تشكل القوى العظمى في ابناء اهل الشام يضاف الى ذلك ان زواجهُ من ميسون بنت بحدل الكلبي قد اكسبهُ سنداً قبلياً قوياً وكان انصارهُ طوع امرهُ وارادتهُ حيث اجمعوا على مبايعتهُ اميراً عليهم ".

ويواصل السيد شرف الدين[5] بنفس الصدد ما ذكرهُ قائلاً: **" حتى إذا استتب أمر الأموية بدهاء معاوية ، انسلت الى احكام الدين انسلال الشياطين تدس فيها دسها وتفسد افسادها... والناس عامة لايفطنون لشيء من هذا فأن القاعدة المعمول بها في الاسلام- اعني قولهم: الأسلام يجب ماقبله. ألقت على فظائع الأموية ستراً حجبتها لاسيما بعد ان عفى عنها رسول الله (ص) وتألفها وبعد أن قربها**

الخلفاء منهم..." يبدو لنا ان السيد شرف الدين قد تفرد بهذا النص. كانت سياسة عمر بن الخطاب في تعاملهُ مع أعوانهُ سياسة شديدة مفعمة بالقسوة والتحكم لا باللين والتعاطف ولكن تعامل عمر مع هذا الداهية الماكر هي التي أتاحت لهُ الفرصة وشجعتهُ ليظهر طغيانهُ وتمردهُ فقد حضيَ من الطاعة والولاء والرضا ما جعلتهُ يتفاخر بنفسهُ ويعيد انتعاش احلامهُ ومن هنا عقب شرف الدين[٦] قائلاً: **" لقد كانت مراقبة عمر لعمالهُ لا هواده عندهُ لأحد منهم لكن معاوية كان اثيرهُ ومخلصهُ على ما كان من التناقض في سيرتيهما ما كف يدهُ عن شيء ولا ناقشهُ وإنما قال لهُ لا أمرك ولا أنهاك يفوض لهُ الأمر برأيهُ وهذا ما اطغى معاوية وارهف عزمهُ على تنفيذ مخططاتهُ الاموية "**. لم يعول السيد شرف الدين على أي مصدر في نصهُ هذا وإنما أورد تحليلهُ من منظورهُ الخاص.

ثانياً/ أسباب تنازل الامام الحسن (ع) لمعاوية بالخلافة:

لم يهدأ الفكر الأسلامي قليلاً عن قضية شائكة أضفت على نفسها اهمية بالغة عند الباحثين كونها تعد نقطة تحول مهمة في مسار الدولة الاسلامية على المدى البعيد وهنا نجد انفسنا أمام حادثة مهمة أثارت إستغراب الباحثين والمؤرخين للبحث عن الجوانب الحقيقية لهذا الصلح والأسباب والظروف التي دفعت بالأمام الى تنازلهث لمعاوية بن ابي سفيان وعلى ضوء هذا الصدد يعلق السيد شرف الدين[٧] (قدس الله سره) قائلاً: **" وقف الحسن والحسين (ع) من دهائهُ وكرهُ ازاء خطر فظيع يهدد الاسلام بأسم الاسلام ويطغى على نور الحق بأسم الحق فكان في دفع هذا الخطر امام امرين لا ثالث لهما: اما المقاومة، واما المسالمة . وقد رأى ان المقاومة تؤدي لا محالة الى فناء هذا الصف المدافع عن الدين وأهله... لأنكشفت المعركة عن قتلهم جميعاً ولأنتصرت الاموية ولو اعتذر الحسن يومئذ بأن معاوية لايفي بشرط ولا هو بمأمون على الدين لما قبلَ العامة يومئذ عذرهُ اذ كانت مغرورة بمعاوية... "**. جاءت رواية السيد شرف الدين (قدس الله سره) بأتفاق بعض العلماء والمؤرخين[٨].

وكان لبعض المؤرخين آراء متضاربة بشأن اسباب تنازل الامام الحسن(ع) رؤى في ذلك فعن سليم بن قيس الهلالي[٩] في روايتهُ عن الامام الباقر (عليه السلام) بشأن حديثهُ عن خلافة الامام الحسن (عليه السلام) نصَ: " ثم بايعوا الحسن بن علي عليه السلام بعد أبيه وعاهدوه ، ثم غدروا به وأسلموه ووثبوا عليه حتى طعنوه بخنجر في فخذه وانتهبوا عسكره وعالجوا خلاخيل أمهات أولاده . فصالح معاوية وحقن دمه ودم أهل بيته وشيعته ". اما ما ذكرهُ الطبري[١٠] فنصَ: " حدثني عبدالله بن احمد المروزي قال: اخبرني ابي قال: حدثني سليمان... لما بايع اهل العراق الحسن بن علي بالخلافة فطفق يشترط عليهم انكم سامعون مطيعيون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت، فأرتابَ اهل العراق في امرهم... قالوا ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا القتال ، فلم يلبث الحسن (ع) بعد ما بايعوه إلا قليلاً حتى طعنهُ طعنه اشوتهُ فأزداد لهم بغضاً وازداد منهم ذعراً ، فكاتب معاوية وارسل اليه بشروط...". اما ابن الاثير[١١] فنصَ: " ... لما نزل الحسن بن علي المدائن نادى منادٍ في العسكر: إلا ان قيس بن سعد قتل فأنفروا. فنفروا بسرادق الحسن فنهبوا متاعهُ حتى نازعوه بساطاً كان تحتهُ، فأزداد لهم بغضاً ومنهم ذعراً ... فلما رأى الحسن تفرق الامر عنهُ كتب الى معاويه وقال لهُ ان اعطيتني هذا فأنا سامع مطيع...". في حين كان للمستشرقين رأي آخر فعن المستشرق الانكليزي دوايت[١٢] مانصهُ: " فأن الاخبار تدل على ان الحسن كانت تقصهُ القوة المعنوية والشجاعة والضبط النفسي والقابلية العقلية لقيادة شعبهُ بنجاح ". اما الاستاذ فيليب حتي[١٣] فرأى " وفي بدء حكم معاويه قامت حركة اخرى كان لها شأن كبير في الاجيال التي تلت اعلان اهل العراق الحسن بن علي الخليفة الشرعي ، ولعلمهم هذا اساس منطقي لأن الحسن كان اكبر ابناء علي وفاطمة ابنة النبي الوحيدة الباقية بعد وفاته ولكن الحسن الذي كان يميل الى الترف والبذخ لا الى الحكم والادارة لم يكن رجل الموقف ، فأنزوا عن الخلافة مكتفياً بهبه سنوية منحها اياها ". ولم يغيب هذا الأمر عن بال المعاصرين حتى يومنا هذا بل تناولوه بالدراسة والتحليل بغية الكشف عن الغموض الذي يكتنفها ومن هنا يعرج بيضون[١٤] قائلاً: " ان الحسن الذي عاش عن كثب تجربة صفين وما افرزتهُ من مؤامرات وأدوار لم يكن في موقع من يمتلك الخيار دون إجراءات حسابات دقيقة للموقف فلم تكن

المغامرة من طبيعتهُ ولا مزاجهُ مع التهور مثبتاً ذلك في تفاديه بحرب خاسرة بعد أن رأى هوى الناس في الصلح... وكان ذلك محصلاً لأنعدام ثقتهُ بالجزء الأكبر من أعوانه الذين أدانتهم حروب صفين ومفاوضات التحكيم...". في حين ذكر القرشي[١٩] مانصهُ: " ان الامام الحسن ادرك جيداً ان اصحابهُ ليسوا صادقين في نصرتهُ وانهم اظهروا تقاعسهم عن الحرب وخذلانهم لهُ بسبب منافع شخصية ولم يربح الجيش في حرب الجمل وصفين شيئاً من العتاد والاموال لأن الامام امير المؤمنين لم يعاملهم معاملة الكفار فيقسم غنائمهم على المسلمين ، وانما امر بأرجاع جميع الاموال التى اغتنمها جيشهُ الى اهلها بعد انتهاء حرب البصرة وختم القرشي قولهُ : وقد علم الجيش ان الامام الحسن لا يتحول عن سيرة ابيه ونهجهُ فلم يثقوا بالاموال والغنائم ان حاربو معاوية لذا فأعلنوا العصيان واظهروا التمرد والسأم من الحرب ".

ورغم تضارب الآراء في بعض المصنفات وتشابه اغلبها مع رواية السيد شرف الدين (قدس الله سره) فيما يخص اسباب صلح الامام الحسن (عليه السلام) مع معاوية نرى ان السيد شرف الدين(قدس الله سره) قد اسند رؤيتهُ بناءاً على كتاب صلح الامام الحسن للشيخ راضي آل ياسين (قدس الله سره) دون غيرهُ من المصادر فربما ان الاراء التي طرحها آل ياسين جاءت متفقة مع ما يصبوا اليه السيد شرف الدين (قدس الله سره) في منظورهُ لصلح الامام الحسن (عليه السلام) وهذا يشير الى انهُ كان مقتنعاً تماماً بما اوردهُ هذا المصدر بدليل انهُ لم يعتمد على أي مصدر آخر هذا من ناحية. ومن ناحية اخرى يبدو ان السيد شرف الدين (قدس الله سره) قد وقف وقف المتعجب والمندهش لبدعة ما اجتهدوا بهِ وما تأولوه بهدف الاطاحة بلأمام الحسن (عليه السلام) وخلق فجوة واسعة من الانعزال بين الائمة (عليهم السلام) وشيعتهم وادخالهم في ديمومة التشكيك والتساؤل وبالتالي بقاء الناس في عشواء غماء من هذا الصلح حتى يومنا هذا دون الوقوف على الاسباب الحقيقية لهذا الصلح وهذا ما اكدهُ شرف الدين في بداية مقدمتهُ قائلاً: لا وزن لمن اتهم الامام الحسن (ع) بأنهُ اخلد بصلحهُ الى الدعه واثر العافية والراحة ولا لمن طوحت بهم الحماسة من شيعتهُ فتمنوا عليهِ لوقفَ في وجه معاوية فوصل الى الحياة من طريق الموت وفاز بالنصر والفتح. ومحتمل ان السيد شرف الدين (قدس الله سره) قد وجد في آل ياسين قد اظهر الجانب الحقيقي لنية الامام الحسن (عليه السلام) من هذا التنازل ولهذا لم يقتنع بجميع الآراء السالفة الذكر سواء هذا المصدر كونهُ اظهر للعامة الأسباب الحقيقية للتنازل وبهذا حاول شرف الدين ان يكمم الأفواه والافكار التي صورت قضية تنازل الأمام الحسن (عليه السلام) حسب ما يلائم أهوائهم النفعية وبهذا يتضح لنا ان السيد شرف الدين قد هدف من وراء ذلك النص هو رسم صورة واضحة لأسباب تنازل الأمام كي تصبح فيما بعد واجهة تاريخية على إمتداد التاريخ الاسلامي. ويواصل شرف الدين[٢٠] نصهُ السالف الذكر بنص مغاير لما ورد أعلاه حيث ذكر مانصهُ: **" ان معاوية كان يطلب الصلح ملحاً على الحسن بذلك وكان يبذل لهُ من الشروط لله تعالى وللأمة كل ما يشاء يناشدهُ الله في حقن دماء أمة جده وقد أعلن طلبهُ هذا فعلمهُ المعسكران مع أن الغلبة كانت في جانبهُ لو إستمر القتال... لو اعتذر الحسن يومئذ بأن معاوية لا يفيء بشرط ولا هو بمأمون على الدين ولا على الأمة لما قبل العامة عذرهُ اذ كانت مغروره بمعاوية..."**.

ولابد أن يكون للمعاصرين رأي آخر فقد عرج الجنابي[٢١] قائلاً: " إن قضية الصلح مع معاوية وبخلاف ما حاول كتاب السلطة تصويرة عي قضية في غاية الخطورة والظروف التي أحاطت بالأمام كانت دقيقة جداً ادخلتهُ في دوامه كبيرة اجبرتهث على إتخاذ هذا القرار... فبعد حادثة نهب متاعهُ وطعنهُ من قبل جندهُ وبعد غدر ابن عباس الذي فتح بخيانتهُ هذا الباب لغيرهُ تستر بغدرهُ وخيانتهُ الطامعين والخونه جميعهم فوجد الأمام الحسن نفسهُ في وضع مرتبك لا يحسد عليه ".

ثالثاً/ شروط تنازل الامام الحسن (ع) بالصلح:

ذكر السيد شرف الدين[٢٢] البنود التي قدمها الامام الحسن (عليه السلام) لمعاوية مقابل تنازلهُ بالخلافة اذ نصَ: **" رأى الحسن (ع) ان يترك معاوية لطغيانهُ ، ويمتحنهُ بما يصبوا اليه من الملك. لكن اخذ عليه في عقد الصلح إلا يعدوا الكتاب والسنة في شيء من سيرتهُ وسيرت اعوانه ومقوي سلطانه . وان لا يطلب احداً من الشيعة بذنب اذنبهُ مع الاموية وان يكون لهم من الكرامة وسائر الحقوق ما**

لغيرهم من المسلمين... وغير ذلك من الشروط التي كان الحسن عالماً بأن معاوية لايفيء لهُ بشيء منها وانهُ سيقوم بنقائضها ". تضاربت النظريات بشأن شروط الصلح التي قدمها الامام الحسن (عليه السلام) الى معاوية فعن الطبري[١٩] ذكر مانضهُ: " صالح الامام الحسن معاوية على ان يجعل لهُ ما في بيت مالهُ وخراج دارابجرد على ان لايشتم علياً وهو يسمع فأخذ ما في بيت مالهُ بالكوفة وكان فيهِ خمسة آلاف ألف. في حين ذكر الطبري في موضوع آخر ان الامام الحسن كاتب معاوية وارسل اليه بشروط قال فيها: ان اعطيتني هذا فأنا سامع مطيع وعليك ان تفيء لي به ووقعت صحيفة الحسن في يد معاوية ، وقد ارسل معاوية قبل هذا الى الحسن بصحيفة بيضاء مختوم على اسفلها وكتب اليه ان اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت اسفلها ماشئت فهو لك...". هذا ما رواه الطبري وتفق معهُ ابن الاثير والدينوري[٢٠]. في حين ذكر ابن اعثم الكوفي[٢١] شروطاً مماثله لما جاء بهِ شف الدين فنصَ: " دعا الحسن بن علي بكتابهُ فكتب: هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن ابي طالب معاوية بن ابي سفيان صالحهُ على ان يسلم اليهِ ولاية امير المؤمنين على ان يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيهُ محمد (ص) وسيرة الخلفاء الراشدين وليس لمعاوية بن ابي سفيان ان يعهد لأحد من بعدهُ عهداً ، بأن يكون الامر بعدهُ شورى بين المسلمين ، على ان الناس أمنون في شامهم وعراقهم وتهامهم وحجازهم...". كما ذكر ابو الفرج الاصبهاني[٢٢] احدى هذهِ الشروط فنصَ: " بعث معاوية عبدالله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة الى الحسن للصلح ، فدعوه اليه ، وزهداه في الامر واعطياه ماشرط لهُ معاوية وإلا يتبع احد بما مضى ، ولا ينال احد من شيعة علي بمكروة ولا يذكر علي إلا بخير واشياء اخرى اشرطها الحسن ". في حين نرى السيوطي[٢٣] قد ساق الرواية بأختلاف تام عما حاول الاخرون تصويرهُ اذ نصَ: " ارسل الحسن الى معاوية يبذل لهُ تسليم الامر اليهِ ، على ان تكون لهُ الخلافة من بعده، وعلى ان لا يطالب احداً من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان ايام ابيه ، وعلى ان يعفي ديونهُ فأجاب معاوية الى ما طلبهُ ". لم يقتنع السيد شرف الدين (قدس الله سره) بهذهِ الروايات الواردة بشأن هذه الشروط المخالفة تماماً للأمام الحسن (عليه السلام) والتي حاول كتاب السلطة تغييب الجانب الحقيقي منها والجدير بالقول ان السيد شرف الدين (قدس الله سره) كان محقاً بغض بصرهُ عن هذهِ المصادر كونها مخالفة للحقيقة والواقع ولهذا نراه قد استند الى الشيخ راضي آل ياسين (قدس الله سره) ويبدو ان السيد شرف الدين قد اقتنع بهذا المصدر من باب انهُ اظهر الصفة الكمالية الملائمة لأخلاق الامام الحسن (عليه السلام) وسيرة ابائهُ واجدادهُ وهذا ما دفعهُ الى الاستناد على هذا المصدر.

رابعاً/ غايات الصلح:

لقد بين السيد شرف الدين من خلال نصوصهُ الواردة التي ساقها لنا ان اسباب تنازل الأمام لم يكد يذهب سدى في سبيل الله بل تكمن ورائهُ بعض المأرب في نية الحسن ومن هنا يعرج شرف الدين[٢٤] (قدس الله سره) قائلاً: **" ان الامام الحسن (ع) قد اعد هذا الصلح لرفع الغطاء عن الوجه الاموي المموه ولصهر الطلاء عن مظاهر معاوية الزائفة، ليبرز حينئذ هو وسائر ابطال الاموية كم هم جاهلين لم تخفق صدورهم بروح الاسلام لحظة... وختم شرف الدين مقالتهُ: تهيأ الحسن (ع) بهذا الصلح ان يغرس في طريق معاوية كميناً من فسهُ يثور عليه من حيث لا يشعر...".** هذا ما رآه السيد شرف الدين (قدس الله سره) واتفق معهُ بعض المعاصرين[٢٥] علماً ان السيد شرف الدين قد عول في نصهُ هذا على كتاب صلح الحسن[٢٦] ويبدو ان هناك اتفاق تام حول الفكرة بين نصوص شرف الدين وما جاء به آل ياسين بخصوص غايات الامام حول هذا الصلح.

خامساً/ نقض العهود والمواثيق:

ذكر السيد شرف الدين[٢٧] (قدس الله سره) نقائض معاوية للعهود التي اعطاها لسيد شباب اهل الجنة (عليه السلام) يوم الصلح اذ نصَ: **" لم يطل الوقت حتى انفجرت اولى القنابل المغروسة في شروط الصلح ، انفجرت من نفس معاوية يوم نشوتهُ بالنصر... فقام معاوية خطيباً فيهم: يا اهل العراق،**

اني والله لم اقاتلكم لتصلوا ، ولا لتصوموا ، ولا لتتزكوا ، ولا لتحجوا، وانما اقاتلكم لاتأمر عليكم...". اجمع اغلب المؤرخين على ذكر ذلك[٢٨]. لقد استند السيد شرف الدين (قدس الله سره) في رأيهُ هذا وفقاً لعدة مصادر كالشيخ المفيد والمجلسي والاصبهاني[٢٩] رغم تواتر الخبر عند اغلبهم ان ما لاحظناه عندر رجوعنا الى هذه المصادر التي عول عليها السيد شرف الدين (قدس الله سره) نرى انها قد ذكرت هذه النقائض بشكل مفصل وملم عكس روايات اغلب المؤرخين التي أكدوا فيها خطبة معاوية وهذا يدل على ان السيد شرف الدين (قدس الله سره) قد ادرك تجاهل الشروط الحقيقية التي اشترطها الامام الحسن (عليه السلام) في تنازلهُ لمعاوية والتي تنص على ان يسير معاوية بن ابي سفيان على كتاب الله وسنة نبيهُ محمد (صل الله عليه واله) وسيرة الخلفاء الراشدين وان يكون الامر شورى من بعده. وهذا ما اكدتهُ خطبة معاوية الدالة على عدم تنفيذهُ لهذهِ الشروط ومن هنا نرى ان السيد شرف الدين (قدس الله سره) قد وقف على هذا الامر وادرك تماماً بأن مصادر مؤرخي السنة لم تعترف بالشروط الصحيحة للصلح فأورد اغلبهم الخطبة دون ان يفقهوا مقاصد هذه الخطبة الدالة على شروط الامام الحسن (عليه السلام) وجائز ان هذا الامر هو الذي دفع السيد شرف الدين (قدس الله سره) الى الاستناد على هؤلاء العلماء المعول عليهم بعد ان ايقن ان ما ورد في هذه المصادر هي الاحداث الحقيقية لنقائض الصلح. وايضاً من الشروط التي لم يفيء بها معاوية ما ذكرهُ السيد شرف الدين[٣٠]: **" فلما تمت لهُ البيعة خطب ، فذكر علياً فنال منهُ . ونال من الحسن ، فقام الحسين ليرد عليه ، فقال له الحسن: على رسلك يا اخي. ثم قام الحسن (ع) فقال: ايها الذاكر علياً. انا الحسن وابي علي، وانت معاوية وابوك صخر ، وامي فاطمة ، وامك هند ، وجدي رسول الله (ص) وجدك عتبة ، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة ، فلعن الله اخملنا ذكراً ... فقالت طوائف من اهل المسجد آمين ".** ويكمل شرف الدين[٣١] فيما يتعلق بنقائض معاوية للشروط ماذكرهُ: **" ثم تتابعت سياسة معاوية تنفجر بكل ما يخالف الكتاب والسنة قتلاً للأبرار وهتكاً للأعراض وسجناً للأحرار وسلباً للأموال وتشريداً للمصلحين وتأيداً للمفسدين الذين جعلهم وزراء دولتهُ...".** تواترت هذه الخطبة في اغلب مصادر الأمامية فقط[٣٢]. لقد عول السيد شرف الدين على مجموعة من المصادر على ضوء نصوصهُ السالفة الذكر على الشيخ المفيد والأصفهاني[٣٣] وربما ان السيد شرف الدين قد قصد وراء ذلك غاية ما وهو ان يظهر للعلن ان كثير من الأمور بشأن نقائض معاوية بن ابي سفيان قد طمست أخبارها فأراد ان يبين من خلال الخطبة الحقيقة التاريخية المغيبة لهذه الشروط التي اشترطها الأمام الحسن (عليه السلام).

سادساً/ وفاة الامام الحسن (ع):

ذكر السيد شرف الدين[٣٤] (قدس الله سره) مانصهُ: **" ختم معاوية منكراتهُ هذهِ بسم الامام الحسن الزكي (ع) تمهيداً لسلطان سكيرة المتهتك، فكانت منهُ تلك الفضائع والفجائع في المدينة الطيبة ، وفي مكة المعظمة...".** اجمعت اغلب المصادر وبتواتر تام على ان الامام (عليه السلام) قد مات بالسم على يد زوجتهُ جعده بنت الاشعث بتدبير من معاوية بعد ان وعدها بالأمان. فعن ابن سعد[٣٥] لصَ: " قال: أخبرنا يحيى بن حماد قال: أخبرنا أبو عوانة. عن المغيرة. عن أم موسى: أن جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم فاشتكى منه شكاة...". هذا ما رواه ابن سعد واتفق معهُ اغلب المؤرخين[٣٦]. علماً ان السيد شرف الدين (قدس الله سره) قد عول في هذهِ الرواية على كتاب الغدير ومما يثير التساؤل والاستغراب هو لماذا عول السيد شرف الدين على هذا المصدر على اعتبار انهُ انفرد بعذعِ الرواية فهل هناك سبب دفع السيد شرف الدين (قدس الله سره) الى التعويل عليه او انهُ وجد فيه ما يوافق نظريتهُ فالمصدر لم يتطرق الى ذكر زوجة الامام الحسن (عليه السلام) وهذا يدل ايضاً على ان الشيخ الاميني لم يكن مقتنعاً بأن سم الامام الحسن كان على يد زوجتهُ وهذا يشير الى ان السيد شرف الدين (قدس الله سره) قد ايقن تماماً بما ورد في هذا المصدر بدليل انهُ لم يثبت أي مصدر آخر. ومن هنا نستنتج ان الرواية التي اتى بها السيد شرف الدين تبدو انها ضعيفة وذلك لعدة اسباب اولاً انفراد السيد شرف الدين بها ثانياً لم ترد في كتب

التأريخ اذ ان اغلب المصادر اجمعت على ان جعده بن الاشعث زوجة الامام الحسن (عليه السلام) كانت وراء سم الامام الحسن (عليه السلام) بعد ان بذل لها معاوية الوعود والامان.

وفي النهاية ارى ان خلافة الامام الحسن (عليه السلام) تعتبر خاتمة العهد الراشدي الذي سار وفق نهج محمدي صحيح فمجرد تنازل الامام الحسن (عليه السلام) عن الخلافة بقهر وجبر معاوية انتهى عصر الحق والايمان والتلاحم وبدأ عصر التسلط والجور والزندقة وعند الوقوف علر الرؤى والنظريات وبالأخص الروايات التاريخية المتضاربة نقف مندهشين متعجبين من كمية البدع والتشويه التي طالما لحقت بالأمام الحسن (عليه السلام) والتي للأسف روج لها المطبلون وتأثر بها كل من هب ودب دون تمحيص الحقيقة التاريخية وارجاعها الى العقل والمنطق. فالأمام الحسن عليه السلام تولى الخلافة بعهد من ابيهِ الامام (علي السلام) حيث اسندت لهُ سدة الخلافة بعد استشهاد ابيه (عليه السلام) مباشرتاً وبمبايعة اهل العراق لهُ وان تنازلهُ عن الحكم لم يكن برغبة ذاتية منهُ ولا خوف ولكن الظرف التى عاشها الامام الحسن (عليه السلام) والاوضاع المرتبكة التي سادت العراق عقب وفاة ابيهِ هي التي دفعتهُ الى التنازل وعقد البيعة لمعاوية ولهذا فلا صحة لمن اتهمهُ بأنهُ اخلد بصلحهُ الى الدعه واثر العافية والراحة ولا وزن لمن اتهمهُ بأنهُ تنازل مقابل طمعهُ بالمال حسب ما يذكر الطبري في احدى رواياتهُ فلو كان الامر كذلك لما تنازل الامام الحسن (عليه السلام) عن الامر ولقاتل قتالاً مستميتاً من اجل استحواذهُ وبقاءهُ في الحكم فهذهِ الروايات العقيمة لا اساس لها من الصحة ولا تمت الى نهج الامام وابائه (عليهم السلام) بأي صلة وما كان تنازلهُ إلا لعدة اسباب ومآرب اخرى منها: تقاعس وتخاذل اتباعهُ بأستثناء المخلصين منهم اذ ادرك الامام الحسن تماماً ان قومهُ ليس جادين بنصرتهُ وانهم لا محال سيغدرون بهِ وقد تضمن ذلك قول الامام (عليه السلام) بنفسهُ عندما اختبر نيتهم اذا قام خطيباً بهم فقال[٣٧]: انا والله ما يثنينا عن اهل الشام شك ولا ندم وإنما كنا نقاتل اهل الشام بالسلامة والصبر فيثبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع... إلا وان معاوية تعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفه فأن اردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه الى الله عز وجل بظبى السيوف، وان اردتم الحياة قبلناه واخذناه لكم... فناداه الناس من كل جانب البقية البقية وامضِ الصلح . وقال[٣٨]ايضاً في معرض حديثهُ عندما سأله احد المعترضين عن الصلح: والله ما سلمت الامر اليه إني لم اجد انصاراً ولو وجدت انصاراً لقاتلتهُ ليلي ونهاري حتى حكم الله بيني وبينه ولكني عرفت اهل الكوفة وبلوتهم ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً.

فضلاً عن ذلك ان القوة العسكرية الهائلة التي يمتلكها معاوية تعادل ثلاثة اضعاف جيش الامام الحسن (عليه السلام) ومن هنا ارى ان الامام (عليه السلام) لو غامر فيها لكانت النتائج عكسية عليه ولأصبح الخاسر الوحيد فيها وسوف تنتصر الاموية لا محال وبالوقت نفسه. ومن جهة اخرى ارى ان الاخطار الخارجية المتمثلة بالروم كانت تراقب الامور عن كثب لتتحين الفرصة المناسبة لتغير على الاسلام والمسلمين بعد الضربات الموجعة التي تلقتها من الاسلام ولهذا فضل الامام الحسن (عليه السلام) ان يترك حقهُ الشرعي مقابل الحفاظ على كيان الامة والدين على حد تعبير اليعقوبي[٣٩] وغيرها من الاسباب الكثيرة التي دفعت بالأمام الحسن (عليه السلام) الى الجنوح لمصالحة معاوية والتي لم اكن يوماً شفيعه له لتبرئتهُ عما لصق بهِ من الطعن والتحريف والقول لهُ ما ليس فيه. علماً ان الامام الحسن (عليه السلام) اراد بهذا الصلح ان يضع كميناً لمعاوية يثور عليه دون ان يشعر وفعلاً لم يمضِ الوقت طويلاً حتى انتفض الناس على حكمه الذي اتصف بقوة السف والتسلط والجور المحكم عائداً بهم الى جاهلية ضالة تبعث فيهم الزندقة والاستهتار ومن هنا كشف الصلح اماطة اللثام عن الوجه الاموي المزيف المملوء بالحقد والاضغان فهذا الصلح كشف احقاد مزمنة اموية ليست وليدة اللحظة بل متأصلة منذ ايام بدرية وخيبرية وحنينية كانت تكمن في نفسها للأسلام كل العداء والزوال وما كان صلح الامام الحسن (عليه السلام) إلا ان يسير فيهم معاوية على كتاب الله وسنة نبيه محمد (صل الله عليه واله).

الهوامش:

(1) شرف الدين ، الموسوعة ، المقالات ، ٦/٦.
(2) شرف الدين ، الموسوعة ، المقالات ، ٦/٦.
(3) بيضون ، من دولة عمر ، ١٤٦.
(4) الجنابي ، حركات المعارضة العلوية ، ١١٥
(5) شرف الدين ، الموسوعة ، المقالات ، ٧/٦.
(6) شرف الدين ، الموسوعة ، المقالات ، ٨/٦.
(7) شرف الدين ، الموسوعة ، المقالات ، ٨/٦-٩
(8) الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢٩١/٢ ؛ الامين ، اعيان الشيعة ، ٣٨/١ ؛ المحسني ، مشرعة بحار الانوار ، ١٤٥/٢.
(9) كتاب سليم بن قيس ، ١٨٨.
(10) تاريخ الطبري ، ١٦٢/٥.
(11) الكامل ، ٥/٣.
(12) دوايت ، عقيدة الشيعة ، ٨٩.
(13) فليب حتي ، العرب تاريخ موجز ، ٨٤.
(14) بيضون ، من دولة عمر الى دولة عبد الملك ، ١٤١-١٤٢.
(15) القرشي ، حياة الامام الحسن ، ١١٩/٢.
(16) شرف الدين ، الموسوعة ، المقالات ، ٩/٦.
(17) الجنابي ، حركات المعارضة ، ١١٥.
(18) شرف الدين ، الموسوعة ، المقالات ، ١٠/٦.
(19) تاريخ الرسل ، ١٦٣/٥.
(20) الكامل ، ٦/٣-٧ ؛ الامامة والسياسة ، ٢٠٠.
(21) الفتوح ، ٩٦/٤-٩٧.
(22) مقاتل الطالبيين ، ٧٥-٨٥.
(23) تاريخ الخلفاء ، ١٤٧.
(24) شرف الدين ، الموسوعة ، المقالات ، ١١/٦.
(25) اعلام الهداية ، ١٥٦/٤.
(26) آل ياسين ، ١١-١٢.
(27) شرف الدين ، الموسوعة ، المقالات ، ١١/٦.
(28) ابن ابي شيبة ، المصنف ، ٢٥١ ؛ المغربي ، شرح الاخبار ، ٥٣٣/٢ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٤٦/١٦ ؛ الشهرستاني ، وضوء النبي ، ٢٠٩ ؛ عرفة ، افادات ، ٢١٣ ؛ العاملي ، الانتصار ، ٢٤٠/٨ ؛ السبحاني ، الشيعة ، ٩٧.
(29) الارشاد ، ١٤/٢ ؛ مقاتل الطالبيين ، ٧٧ ؛ بحار الانوار ، ٤٩/٤٤.
(30) شرف الدين ، الموسوعة ، المقالات ، ١١/٦-١٢.
(31) شرف الدين ، الموسوعة ، المقالات ، ١٢/٦.
(32) ابن بابويه القمي ، الاربعون ، ٨٠ ؛ المفيد ، الارشاد ، ١٥/٢ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٤٧/١٦ ؛ آل خليفة ، امراء الكوفة ، ١٣٥ ؛ الفيومي ، صحيفة الحسن ، ١٩٨ ؛ المحلي ، الحدائق الوردية ، ١٩٦/١.
(33) الارشاد ، ١٤/٢ ؛ مقاتل الطالبيين ، ٧٧.
(34) شرف الدين ، الموسوعة ، النص والاجتهاد ، ٤٠٩/٢.
(35) الطبقات ، ٣٣٨/١.
(36) محب الدين الطبري ، ذخائر العقبى ، ١٤١ ؛ ابن عساكر ، ترجمة الامام الحسن ، ٢١٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٥٨/٣ ؛ المازندراني ، منتهى المقال ، ٤٣/٥ ؛ الورداني ، السيف والسياسة ، ١٤٠ ؛ الجزائري ، رياض الابرار / ٦٩-٧٠ .
(37) ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ٢٤٦/٦-٢٤٧.
(38) الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢٩١/٢.
(39) تاريخ اليعقوبي ، ٢١٧/٢.

Bibliography:

1. alsayid eabdalhusayn sharaf aldiyn , almawsueat , sulh alamam alhasan (ea), ta1, (birut- dar almuarikh alearabii , 1427h).
2. abrahim bidun , min dawlat eumar alaa dawlat eabd almalik ,ta1, (qm- shihab aldiyn , 1427hi).
3. 'abi mansur 'ahmad bin ealii bin 'abi talib (t620ha) , aliahtijaj , taeliqu: muhamad baqir alkharsan, (alnajaf alashuraf- dar alnueman , 1386hi).
4. muhsin al'amin aleamilii , 'aeyan alshiyeati, tahqiqu: hasan al'amini, (birut- dar altaearuf lilmatbueati, 1403h).
5. muhamad asif , musharaeat bahaar alanwar , ta1, (qim- maktabat eazizi , 1423hi).
6. salim bin qays alhilalii (t76hi) , kitab salim bin qays , tahqiqu: muhamad baqir aliansariu , tu1 , (qim- alhadi , 1420hi).
7. 'abu jaefar muhamad bin jarir bin yazid bn kathir bin ghalib alamli (t310hi) , tarikh alrusul walmuluk , ta2 , (birut- dar alturath , 1387hi).
8. 'abu alhasan eali bin 'abi alkaram muhamad bin muhamad bin eabd alkarim bin eabd alwahid alshaybani aljazari (t 630hi) , alkamil fi altaarikh , tahqiqu: samir shams, (birut- dar sadir , 1385h).
9. duayt am. runaldusan , dwayt am eaqidat alshiyeat , tahqiqu: eali dahbashi , ta2, (birut- muasasat almufid , (1990mi).
10. filib hatiy , alearab tarikh mujaz , (birut- dar aleilm lilmalayin , 1991mi).
11. baqir sharif alqurashiu , hayaat al'amam alhasan bin eali (e) , ta1, (birut- dar albalaghat 1413hi).
12. 'abu hanifat 'ahmad bin dawud aldiynuriu (t 282hi) , al'iimamat walsiyasat , tahqiqu: eali shiri , ta1 , (birut- dar al'adwa' , b ta).
13. 'abu alfaraj ealiin bin alhusayn bin muhamad bin 'ahmad bin alhaytham almarwaniu al'umawiu alqurashiu aliasfhanii (t 356hi) , muqatil altaalibiiyn , tahqiqu: 'ahmad saqr , (birut- dar almaerifat , b ta).
14. eabd alrahman bin 'abi bakr jalal aldiyn alsuyutiu (t 911hi) , tarikh alkhulafa' , tahqiqu: hamdi aldamardash , ta1 , (maktabat nizar mustafaa albaz , 1425h).
15. almajmae alealamiu li'ahl albayt (e) , 'aelam alhidayat , ta2, (qim , 1425h).
16. alshaykh radi al yasin sulah alhasan (e) , ta4, (bayrut , 1979m).
17. abn abi shibat , eabd allh bin muhamad bin 'iibrahim bin euthman bin khawasati aleabsii (t 235hi) , almusanaf fi al'ahadith waluathar , tahqiqu: saeid allahaam , ta1 , (birut- dar alfikr , 1409hi).
18. alneman bn mhmid bin mansur bin ahmad bin hayuwn altamimii almaghribii (t363h) , sharh aliakhbar , tahqiqu: muhamad aljalalii , (qim- muasasat alnashr al'iislamii , b ta).
19. abn abi alhadid , eabd alhamid bin hibat allah (t656h) , sharh nahj albalaghat , tahqiq : muhamad 'abu alfadl 'iibrahim , ta1, (dar ahya' alkutub alearabiat , 1378hi).
20. eali alshihristani , wadaw' eabdallah bin eabaas wadawr alsiyasat fi aikhtilaf alnaql eanh , tahqiqu: qays eataar , ta1, (qm- nashr mishear , 1426h).
21. muhamad salim earafat , afadat min milafaat altaarikh , ta1, (qim- markaz aliaibhath aleaqayidiat , 1427hi).
22. ealii alkurani aleamiliiyi , aliantisar , ta1, (birut- dar alsiyrat , 1422h).
23. abi eabdallah muhamad bin muhamad bin alnueman aleakbari albaghdadii almaeruf bialshaykh almufid (t413h) , alarshad , ta2 , (birut- dar almufid , 1414h).

24. muhamad baqir almajlisii (t1111h) , bahaar alanwar , ta3 , (birut- dar ahya' alturath alearabii , 1403hi).
25. alqimi , 'abu alhasan ealiin bin eubayd allah alraazii (ta585ha) , aliarbieun hdythaan , ta1 , (qm- muasasat alamam alhadi (e) 1408h).
26. muhamad eali al khalifat , muhamad eali , 'umara' alkufat wahukaamuha , tahqiqu: yasin salawati , ta1, (tahran- muasasat alamam alsaadiq , 1425h).
27. jawad alfayuwmi , sahifat alhasan (e) , ta1, (qim- muasasat alnashr al'iislamii , qim , 1375hu).
28. almahaliyu , hamayd bn ahmad (t652h) , alhadayiq alwardiat fi manaqib al'ayimat alzaydiat , ta1 , (sanea'a- maktabat badr , 1423h).
29. eabd alhusayn sharaf aldiyn , almawsueat , alnasu wal'ajtihad , ta1, (birut- dar almuarikh alearabii , 1427h).
30. abn saed , 'abu eabdallah muhamad bin saed bin maniye albasari albaghdadii (t230) , altabaqat alkubraa , tahqiqu: muhamad eabd alqadir , ta1 , (birut- dar alkutub aleilmiat , 1410hi).
31. mahabi aldiyn altabarii , 'ahmad bin eabd allah (t 694hi) , dhakhayir aleuqbaa fi manaqib dhawaa alqurbaa , (dar alkutub almisriat , 1356h).
32. abin easakir , 'abu alqasim ealiin bin alhasan bin hibat allah almaeruf (t 571hi) , tarjamat alamam alhasan (e) , tahqiqu: muhamad baqir almahmudi , ta1 , (birut- muasasat almahmudi liltibaeat walnashr , 1400h).
33. muhamad 'iismaeil , muntahaa almaqal fi 'ahwal alrijal , ta1, (qm- muasasat al albayt li'ahya' alturath , 1416hu).
34. salih alwardani , alsayf walsiyasat , ta1, (alqahirati- dar aljisam , 1996mi).
35. niemat allah aljazayiriu (t1112h) , riad alabarar fi manaqib al'ayimat al'athar , ta1, (birut- muasasat altaarikh alearabii , 1427h).
36. abn hamdun , muhamad bin alhasan bin muhamad bin ealiin bin hamdun albaghdadii (t 562hi) , altadhkirat alhamduniat , ta1 , (birut- dar sadir, 1417h).
37. altabarsii , abi mansur 'ahmad bin ealii bin 'abi talib (t620ha) , aliahtijaj , taeliqu: muhamad baqir alkharsan, (alnajaf alashuraf- dar alnueman , 1386hi).
38. aliequbi , aihmad bn abi yaequb bn wadih alkatib (t284hi) , tarikh alyaequbii , tahqiqu: eabd al'amir muhanaa , ta1 , (birut- alaelamiu lilmatbueat , 1431hi).

alrasayil walatarih:

39. saed kazim eabd eamish aljanabiu , alharakat aleulawiat fi tarikh altabri(40-302h) dirasat manhajiat muqaranat , atruhat dukturah ghayr manshurat , kuliyat altarbiat , (jamieat alqadisiat , 1429h/2007ma).